الجمع

بين نصوص العقيدة

من كتب

فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

ج / ١

جمع

مساعد بن عبدالله السلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة : الجمع بين النصوص :-

قال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ١٢٣/١٣ : ومن المهم لطالب العلم خاصة أن يعرف الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض ، ليتمرن على الجمع بين الأدلة ، ويتبين له عدم المعارضة ، لأن شريعة الله لا تتعارض ، فإنها من وحي الله - عز وجل -.

وقال رحمه الله في كتابه أصول التفسير ص ٥٢ : ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما خبري، لأنه يلزم كون إحداهما كذباً، وهو مستحيل في أخبار الله تعالى، قال الله تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) (النساء: الآية٨٧) (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا) (النساء: الآية١٢٢) ولا يمكن أن يقع التعارض بين آيتين مدلولهما حُكْمِي؛ لأن الأخيرة منهما ناسخة للأولى قال الله تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) (البقرة: الآية١٠٦) وإذا ثبت النسخ كان حكم الأولى غير قائم ولا معارض للأخيرة.* *وإذا رأيت ما يوهم التعارض من ذلك، فحاول الجمع بينهما، فإن لم يتبين لك وجب عليك التوقف، وتكلَ الأمر إلى عالمه وقد ذكر العلماء رحمهم الله أمثلة كثيرة لما يوهم التعارض، بينوا الجمع في ذلك ومن أجمع ما رأيت في هذا الموضوع كتاب "دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.*

قاعدة نافعة في الجمع بين النصوص :

ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه "العقل والنقل" (٤٣/١، ٤٤) وخلاصتها: أنه إذا قيل بالتعارض بين دليلين، فإما أن يكونا قطعيين، أو ظنيين، أو أحدهما قطعيًا، والآخر ظنيًا. فهذه ثلاثة أقسام: الأول - القطعيّان: وهما ما يقطع العقل بثبوت مدلولهما، فالتعارض بينهما محال؛ لأن القول

بجواز تعارضهما يستلزم إما وجوب ارتفاع أحدهما وهو محال؛ لأن القطعي واجب الثبوت، وإما ثبوت كل منهما مع التعارض وهو محال أيضاً؛ لأ نه جمع بين النقيضين. فإن ظن التعارض بينهما فإما: أن لا يكونا قطعيين، وإما أن لا يكون بينهما تعارض، بحيث يُحمل أحدهما على وجه، والثاني على وجه آخر، ولا يرد على ذلك ما يثبت نسخه من نصوص الكتاب والسنة القطعية؛ لأن الدليل المنسوخ غير قائم، فلا معارض للناسخ. الثاني - أن يكونا ظنيين: إما من حيث الدلالة، وإما من حيث الثبوت، فيطلب الترجيح بينهما ثم يقدم الراجح. الثالث - أن يكون أحدهما قطعيًّا، والآخر ظنيًّا، فيقدم القطعي باتفاق العقلاء؛ لأن اليقين لا يُدفع بالظنّ.

***

١/ الجمع بين إنفراد الله بالألوهية كما في قوله تعالى (شهد الله أنه لاإله إلا هووالملائكة وأولو العلم) وبين إثبات الألوهية لغيره كما في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام (أئفكا آلهة دون الله تريدون) وقوله (ولاتدع مع الله إلها آخر).

نقول: إن ألوهية ماسوى الله ألوهية باطلة ، مجرد تسمية ،(إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) ، فألوهيتها باطلة ، وهي وإن عبدت وتأله إليها من ضل ، فإنها ليست أهلا لأن تعبد ؛ فهي آلهة معبودة ، لكنها آلهة باطلة ، (ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه الباطل) [1]

***

٢/ الجمع بين إنفراد الله بالخلق كما في قوله تعالى (ألا له الخلق والأمر) وبين إثبات الخلق لغيره كما في قوله تعالى: (ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله

انظر مجموع الفتاوى ٣/١٥٣، وشرح ثلاثة الأصول ٦٦ ، والقول المفيد ١/٦٤ ، وشرح العقيدة الواسطية ١٩ ، وتفسير سورة البقرة ٥٣/١

أحسن الخالقين) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: في المصورين : (يقال لهم أحيوا ماخلقتم).

نقول : إن الخلق هو الإيجاد ، وهذا خاص بالله تعالى ،أما تحويل الشيء من صورة إلى أخرى؛ فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقاً باعتبار التكوين ، لكنه في الواقع ليس بخلق تام؛ فمثلاً : هذا النجار صنع من الخشب باباً ، فيقال : خلق باباً لكن مادة هذه الصناعة الذي خلقها هو الله عز وجل ،لا يستطيع الناس كلهم مهما بلغوا في القدرة أن يخلقوا عود أراك ابداً ، ولا أن يخلقوا ذرة ولا أن يخلقوا ذباباً .[2]

***

٣/ الجمع بين إنفراد الله بالملك كما في قوله (ولله ملك السموات والأرض) وقوله (قل من بيده ملكوت كل شيء) وبين إثبات الملكية لغير الله كما في قوله تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) وقوله (أو ما ملكتم مفاتحه)

نقول : الجمع بينهما من وجهين الأول : أن ملك الإنسان للشي ليس عاما شاملا ؛ لأنني أملك ماتحت يدي ، ولا أملك ماتحت يدك والكل ملك لله عز وجل ؛ فمن حيث الشمول : ملك الله عز وجل أشمل وأوسع ، وهو ملك تام. الثاني : أن ملكي لهذا الشيء ليس ملكا حقيقيا أتصرف فيه كما أشاء ، وإنما أتصرف فيه كما أمر الشرع ، وكما أذن المالك الحقيقي وهو الله عز وجل ولو بعت درهما أو درهمين لم أملك ذلك ولا يحل لي ذلك فإذا ملكي قاصر وأيضا لا أملك فيه شيئا من الناحية القدرية ، لأن التصرف لله فلا أستطيع أن أقول لعبد ي المريض : إبرأ فيبرأ ولا أستطيع أن أقول لعبدي الصحيح

انظر: مجموع الفتاوى١٥١/١٨٠٣/١ ،والقول المفيد ١/١٠، وشرح العقيدة الواسطية١٧

إمرض فيمرض لكن التصرف الحقيقي لله عز وجل فلو قال له : ابرأ برأ ولو قال : امرض ،مرض فإذا لا أملك التصرف المطلق شرعا ولا قدرا فملكي هنا قاصر من حيث التصرف وقاصر من حيث الشمول والعموم وبذلك يتبين لنا كيف كان إنفراد الله عز وجل بالملك .[3]

***

٤/ الجمع بين انفراد الله بالتدبير كما في قوله تعالى (ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وبين تدبير الإنسان .

نقول: إن تدبير الإنسان قاصر ؛ كالوجهين السابقين في الملك ، ليس كل شيء أملك التدبير فيه ، وإنما أملك تدبير ماكان تحت حيازتي وملكي ، وكذلك لا أملك تدبيره إلا على وفق الشرع الذي أباح لي هذا التدبير .[4]

***

٥ / الجمع بين نصوص علو الله تعالى بذاته وبين معيته على خلقه .

نقول: لا ريب أن النصوص قد جاءت بإثبات علو الله بذاته فوق خلقه وأنه معهم، وكل منهما قطعيّ الثبوت والدلالة. وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الحديد: ٤] . ففي هذه الآية أثبت الله تعالى استواءه على العرش الذي هو أعلى المخلوقات، وأثبت أنه معنا، وليس بينهما تعارض؛ فإن الجمع بينهما ممكن. وبيان إمكانه من وجوه: الأ ول - أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالاً؛ لأن

---

[3] انظر مجموع الفتاوى ١٩/١ ، ١٥١/٣ ،والقول المفيد ١١/١ ، وشرح العقيدة الواسطية ١٨

[4] انظر : مجموع الفتاوى ١/ ١٩ ، ٣ /١٥١ ، والقول المفيد ١/١١ وشرح العقيدة الواسطية ١٨ .

النصوص لا تدل على محال، ومن ظن دلالتها عليه فقد أخطأ فليعد النظر مرة بعد أخرى، مستعيناً بالله، سائلاً منه الهداية والتوفيق، باذلاً جهده في الوصول إلى معرفة الحق. فإن تبين له الحق فليحمد الله على ذلك، وإلا فليكل الأمر إلى عالمه وليقل: آمنا به كل من عند ربنا، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. الثاني - أنه لا منافاة بين معنى العلو والمعية؛ فإن المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان - كما تقدم -، فقد يكون الشيء عالياً بذاته، وتضاف إليه المعية كما يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أن القمر في السماء، ولا يعد ذلك تناقضاً لا في اللفظ ولا في المعنى، فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا، وأنه لا يمكن أن يكون مقتضاها أن القمر في الأرض. فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى. الثالث - أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمعية تناقضاً وتعارضاً في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق؛ لأن الله - تعالى - ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فلا تقاس معيته بمعية خلقه، ولا تقتضي معيته لهم أن يكون مختلطاً بهم أو حالًّا في أمكنتهم لوجوب علوه بذاته؛ ولأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته بل هو بكل شيء محيط. وبنحو هذه الوجوه يمكن الجمع بين ما ثبت من علو الله بذاته وكونه قِبَل وجه المصلي، فيقال: الجمع بينهما من وجوه: الأول - أن النصوص جمعت بينهما، والنصوص لا تأتي بالمحال. الثاني - أنه لا منافاة بين معنى العلو والمقابلة، فقد يكون الشيء عالياً وهو مقابل، لأن المقابلة لا تستلزم المحاذاة، ألا ترى أن الرجل ينظر إلى الشمس حال بزوغها فيقول: إنها قِبَل وجهي، مع أنها في السماء، ولا يعد ذلك تناقضاً في اللفظ ولا في المعنى، فإذا جاز هذا في حق المخلوق ففي حق الخالق أولى. الثالث - أنه لو فرض أن بين معنى العلو والمقابلة تناقضاً وتعارضاً في حق المخلوق فإن ذلك لا يلزم في حق الخالق؛ لأن الله - تعالى - ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فلا يقتضي كونه قِبَل وجه المصلي أن يكون في المكان أو الحائط الذي يصلي إليه لوجوب علوه بذاته؛ ولأنه لا يحيط به شيء من المخلوقات، بل هو بكل شيء محيط سبحانه وتعالى.[5]

انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٤٩ .

***

٦/ الجمع بين قوله تعالى : (وإياك نستعين) وبين قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) وقول النبي صلى الله عليه سلم : (تعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة" ففي الآية الأولى : إخلاص الاستعانة لله عز وجل ، وفي الآية الثانية والحديث : إثبات المعونة من غير الله عز وجل .

فالجواب: أن الاستعانة نوعان: استعانة تفويض؛ بمعنى أنك تعتمد على الله عزّ وجلّ، وتتبرأ من حولك، وقوتك؛ وهذا خاص بالله عزّ وجلّ؛ واستعانة بمعنى المشاركة فيما تريد أن تقوم به: فهذه جائزة إذا كان المستعان به حياً قادراً على الإعانة؛ لأنه ليس عبادة؛ ولهذا قال الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} [6]

***

٧/ الجمع بين قوله تعالى (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) وبين قوله: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) ففي الآية الأولى نفى أن يأمر الله تعالى بالفحشاء، وظاهر الثانية أن الله تعالى يأمر بما هو فسق.* *

والجمع بينهما أن الأمر في الآية الأولى هو الأمر الشرعي، والله تعالى لا يأمر شرعاً بالفحشاء لقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) والأمر في الآية الثانية هو الأ مر الكوني، والله تعالى يأمر كوناً بما شاء حسب ما تقتضيه حكمته لقوله تعالى:(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [7]

---

[6] انظر تفسير سورة الفاتحة ١٤/١ .

[7] انظر تفسير سورة الفاتحة ١٥/١ .

***

٨/ الجمع بين قوله تعالى : (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما ِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً) وما نقل الله عنهم أنهم خاطبوا ذا القرنين بخطاب واضح فصيح: {قَالُوا ياذَا الْقَرْنَيْن }؟*

والجواب عن هذا سهل جداً، وهو أن ذا القرنين أعطاه الله تعالى ملكاً عظيماً، وعنده من المترجمين ما يُعرف به ما يريد، وما يَعرف به ما يريد غيره، على أنه قد يكون الله ـ عزّ وجل ـ قد ألهمه لغة الناس الذين استولى عليهم كلِّهم، المهم أنهم خاطبوا ذا القرنين بخطاب واضح {قَالُوا ياذَا الْقَرْنَيْنِ }، نادَوه بلقبه تعظيماً له.[8]

***

٩/ الجمع بين كون عيسى ابن مريم عليه السلام حي ،كما في قوله تعالى : (وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه ...) وبين قول الله تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيّ).

---

*فالجواب على ذلك في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)(الأنعام: الآية٦٠)، وقوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا)(الزمر: الآية٤٢) ، وعلى هذا فيكون عيسى بن مريم توفاه الله ، يعني قبضه وهو حي ، كما صعد بمحمد إلى السماء وهو حي .[9]

***

١٠/ الجمع بين قول الله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وبين قوله

---

[8] انظر تفسير سورة الكهف ص ١٣١.

[9] انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٤٥٣ .

في بني إسرائيل : (وأني فضلتكم على العالمين)

نقول : إن قوله (وأني فضلتكم على العالمين) أي : عالمي زمانهم ، لا على كل العالمين ، لأن هذه الأمة بالاتفاق هي خير الأمم . [01]

***

١١/ الجمع بين قول الله تعالى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ) وبين قوله : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا زرقاً) .

قال أهل العلم في الجمع بين هذا وأمثاله : إن يوم القيامة ليس زمناً متحداً قصيراً تتعارض فيه الأحوال ، لكنه زمن طويل مقداره خمسون ألف سنة ، فيمكن أن تكون الوجوه في وقت من هذا اليوم مسودة ، وفي وقت آخر مزرقة ، هذا جمع . الجمع الثاني : أن المراد بالسواد الزرقة ؛ لأن الزرقة كلما اشتدت مالت إلى السواد ، وحينئذٍ يكون زرقاً واسودت بمعنى واحد . الجمع الثالث : أن الناس يختلفون في الجرم والكفر ، فتسود وجوههم أو تزرق بحسب كفرهم وجرمهم ، فمنهم من يكون جرمه شديداً عظيماً فتسود وجوههم ، ومنهم من يكون أخف فتكون زرقاء. الجمع الرابع : قالوا : إنهم سود البشرة زرق العيون ، وهذا أعظم في القبح ، إذا كان الوجه أسود والعين زرقاء ، صار هذا أقبح منظراً .

على كل حال هذه أوجه جمع العلماء بها بين هذا الظاهر الذي يظهر أنه متعارض ، وهنا نقف لنقول : ليس في القرآن شيء متعارض لا يمكن الجمع بينه وبين الآخر ؛ لأن التعارض يقتضي أن يكون أحد المتعارضين حقّا والثاني باطلاً ؛ لأنه ليس معنا إلا حق وضلال : (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) (يونس :٣٢) ، ولا يمكن أن شيء في كتاب الله باطلاً ضلالاً كما قال

انظر فتح ذي الجلال ٦٢٩/١ .

تعالى : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء : ٨٢) نعم يمكن أن يتعارض النصان ولكن يكون أحدهما ناسخاً للآخر كقوله تعالى : (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (الأنفال :٦٦) والنسخ يكون به إبطال المنسوخ من عند الله ، فلا يكون هناك تعارض ، فإن وجد من القرآن ينتفي به التعارض ، وأما أن يبقى متعارض فهذا شيء ممتنع ، ومن أحسن ما أُلِّف في الجميع بين الآيات المتعارضة كتاب محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله المسمى ((دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)) وهو كتاب جيد ومفيد لطالب العلم . [11]

***

١٢/ الجمع بين قول الله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) . وبين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إن الله خلق آدم على صورته) وفي رواية : (على صورة الرحمن) .

نقول : أ- لا يلزم من كون آدم على صورة الله يماثله ، فقد يكون الشيء على صورة الشيء من حيث العموم لا من حيث التفصيل . ويدل لهذا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر . وهل يلزم من ذلك أن يكون مثل القمر ؟ . أبداً لكن من حيث الإجمال على صورة القمر وإلا فليس للقمر أنف ، وليس له عين ، وليس له فم ، وأهل الجنة لهم أنوف وأعين وأفواه . وهذا وجه قوي جدًّا ويبقى النص على ظاهره . ب- والوجه الثاني أن نقول : إن الله خلق آدم على صورة الرحمن أي على الصورة التي اختارها الله عزّ وجل كما لو قلت : هذا الباب صنعه فلان يعني هو الذي صنعه . فالله هو الذي صور آدم ، وإضافة صورة آدم إلى الله تقتضي التشريف ، ولذلك جاءت هذه الجملة في بعض الأحاديث

---

[11] أنظر تفسير سورة آل عمران ٣٠/٢ .

تعليلاً للنهي عن ضرب الوجه وتقبيح الوجه لأن آدم خلق على صورة الرحمن . فإذا ضربت الوجه الذي خلقه الله عزّ وجل واختار هذه الصورة له ؛ فإن ذلك الضرب قد يخدشه ويغيره ، وإذا قبحت الوجه فقلت : ما أقبح هذه الوجه ، فإن هذا أيضاً قدح في الصورة التي خلقها الله عزّ وجل واختارها لهذا الوجه . وعلى هذا فيكون إضافة الصورة إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كقوله : ناقة الله ، وبيت الله ، ومساجد الله وما شابه ذلك .. فحينئذٍ تبقى النصوص - ولله الحمد - سليمة لا تتناقص ولا تتعارض . فاليد ثابتة لله على الوجه اللائق به من غير مماثلة ، نجزم ونعلم علم اليقين أنه لا مماثلة بين صفات الخالق وصفات المخلوق . [21]

***

١٣/ الجمع بين كون أهل الجنة مخلدين فيها كما في قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وبين قوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ...) الآية . فا ستثنى فقال : إلا ما شاء ربك ؟

نقول : لا تعارضُ الآيات الدالة على الأبدية هذه الآية ؛ لأنه من المشكل الذي يجب رده إلى المحكم ، والعلماء لهم في هذه الآية أقوال . ولكن القول الذي يريح الإنسان أن يجعل هذا القيد والقيد الذي في أهل النار (خالدين فيها إلا ما شاء ربك) من الأمور المتشابهة ، ويحمل على النصوص المحكمة فنقول : إن الله قال (إلا ما شاء ربك) مع أنه قد شاء أن يبقى هذا أبد الآبدين وهو كقول الرسول -صلى الله عليه وسلم - في زيارة القبور : ((إنا إن شاء الله بكم لاحقون)) فعلّقه بالمشيئة مع أن اللحوق بهم لا بد منه ، وهذا القول يستريح به الإنسان ، ولا يعترض عليه معترض كما اعترض ابن القيم رحمه الله بأن الله قال في أهل النار : (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ

---

[21] انظر تفسير سورة آل عمران ٢٠٤/١و٤١٥ .

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (هود : ١٠٧) . قال : فاختلاف ختم الآيتين بدل على أن أهل النار ليس خلودهم أبدياً بخلاف أهل الجنة ؛ لأنه قال في أهل الجنة (عطاءً غير مجذوذ) (هود : ١٠٨) وقال في أهل النار : (إن ربك فعال لما يريد) (هود : ١٠٧) وهذا في الحقيقة يدلك أن الإنسان مهما بلغ في العلم والذكاء فلن يسلم من الغلط ، والفرق بين الآيتين ظاهر ؛ لأن آية (السعادة) فضل فقال : (عطآء غير مجذوذٍ) (هود : ١٠٨) وآية النار (الشفاء) عدل فقال : (إن ربك فعال لما بريد) (هود : ١٠٧) وهذا من فعله الذي أراد وليس المعنى أنه (فعال لما يريد) سيفعل في المستقبل خلاف ذلك كما فهمه ابن القيم رحمه الله ، فإن هذا فَهْم غير سليم بلا شك ، بل إن مناسبة ختم الآية يقوله : (إن ربك فعال لما يريد) هو أنه لما كان الشقاء غير محمود قال : هذا من فعل الله ، والله يفعل ما يريد مع أنه لم يظلمهم . [31]

***

١٤/ الجمع بين قوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض .....) وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التفضيل بين الأنبياء .

فيقال : حاشى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينهى عما أثبته الله ولا يمكن ذلك أبداً ، فإذا اخبر الله عز وجل انه فضل بعض النبيين على بعض ، فلا يمكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول : لا تفضلوا بين الأنبياء ، ولكنه نهى عن التفضيل بين الأنبياء حيث يكون الحقد والعدوان ، فلو أن أحداً فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على موسى بحضرة اليهود ، وصار ذلك سبباً للعداوة أو البغضاء ثم سببا للشر فإنه لا يفضل درءاً للمفسدة . فالذي نهى عنه النبي عليه الصلاة والسلام من التفضيل ما كان موجبا للمفسدة ، أما ما كان حكاية للواقع فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن

انظر تفسير سورة آل عمران ٤١/٢ .

أن ينهى عنه وقد أثبته الله .[41]

***

١٥/ الجمع بين قوله صلى الله عليه وسلم : (يأتي النبي وليس معه أحد) وقوله : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا جعل الله له حواريين) .

نقول : إما أن يكون المراد بالحديث الثاني ذوي العزم من الرسل أو أنه يستثنى من الحديث الثاني ما دل عليه الحديث الأول ؛ لأن الأنبياء كثيرون .[51]

***

١٦/ الجمع بين قوله تعالى : (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) وبين قوله صلى الله عليه وسلم : (والشر ليس إليك).

---

*فالجواب : أن الفرق بينهما ظاهر ؛ لأن قوله تعالى : (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) أضاف الشر إلى المخلوق ، أما إلى الله فلا يضاف الشر ، فلا شك أن الله هو الذي قدر الشر ، لكن قدر الشر في مفعولاته ،، أما تقديره لهذا الشر فهو لحكمة عظيمة يترتب عليها من المصالح ما يجعلها غير مكروهة ، لكن فرق بين المفعول وبين الفعل والفاعل ، فالفاعل هو الله عز وجل وهو المقدر ، وهذا لا شك نحبه على كل حال ، وفعله أيضاً خير على كل حال ، أما مفعوله ففيه خير وفيه شر .[61]

***

١٧/ الجمع بين كون النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين (ولكن رسول الله

انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٥٦٥ .

انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٥٦٥ .

انظر شرح العقيدة السفارينية ص٣٧٣ .

وخاتم النبيين) وبين ما صح به الحديث من نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان .

نقول : إن عيسى عليه السلام لا ينزل على أنه رسول ؛ لأن رسالته التي بعث بها كانت سابقة قبل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنه إذا نزل فلا يأتي بشرع من عنده ، ولكنه يجدد شرع النبي صلى الله عليه وسلم . [71]

***

١٨/ الجمع بين اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج ، وبين كون الأنبياء في السموات .

والجواب على ذلك من وجهين : الأول : أن الأنبياء لم يعرج بهم وهم أحياء من الدنيا إلى السموات ، وإنما وجد أرواحهم في السموات . والثاني : أنه حتى الذين في السموات لم يصلوا إلى سدرة المنتهى . [81]

***

١٩/ الجمع بين ما ثبت من أن الإسراء كان من المسجد الحرام من الحجر ، وما ثبت من أنه كان من بيت أم هانئ .

الجمع بينهما أن يقال : كان نائما عند أم هانئ ، فأتاه آت فأيقظه ، فقام إلى المسجد الحرام ، واضطجع عند الحجر فعرج به من هناك من المسجد الحرام . [91]

انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٥٦٥ . ومجموع الفتاوي ١٦٧/٣ .
انظر شرح العقيدة السفارينية ص٥٤٧ .
انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٥٥١ .

***

٢٠/ الجمع بين قوله تعالى : (يظنون بالله ظن السوء) وبين قول الله تعالى عن يونس عليه الصلاة والسلام : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) .

---

*والجواب : أن معنى نقدر أي نضيق كما قال تعالى : (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ)، فيونس عليه الصلاة والسلام ظن أنه بخروجه هذا أنه يجد سعة عما كان عليه في الأول فظن ذلك ، ولكن الله تعالى أراه انه في قبضته عز وجل وضيق عليه أكثر من ذي قبل ، في بطن الحوت : (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [02]

***

٢١/ الجمع بين مجيء العين لله تعالى بلفظ الإفراد كما في قوله تعالى: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) و بين مجيئها بلفظ الجمع كما في قوله تعالى : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) . وقوله : (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) وبين مجيئها بلفظ التثنية كما في حديث إن صح "إذا قام العبد في الصلاة قام بين عيني الرحمن" . هكذا هو في "مختصر الصواعق" عن عطاء عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يعزه. ولم ترد صفة العينين في القرآن بصورة التثنية.

الجمع بين هذه الوجوه أن يقال: إن الإفراد لا ينافي التثنية، ولا الجمع؛ لأن المفرد المضاف يعمّ فيتناول كل ما ثبت لله من يد، أو عين واحدة كانت أو أكثر. وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع فإن قلنا: أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلاً بين صيغتي التثنية والجمع؛ لاتحاد مدلوليهما. وإن قلنا:

انظر شرح العقيدة السفارينية ص٥٧٤ .

أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال: إنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر، وإنما أريد بها - والله أعلم - التعظيم والمناسبة، أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه؛ فإن المضاف إليه، وهو "نا" يراد به هنا: التعظيم قطعاً؛ فناسب أن يُؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه؛ فإن الجمع أدلّ على التعظيم من الإفراد والتثنية، وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالًّا على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ. [12]

***

٢٢ / الجمع بين مجيء اليد لله تعالى بلفظ الإفراد كما في قوله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (يد الله ملأى) ومجيئها بلفظ الجمع كما في قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} ، ومجيئها بلفظ التثنية كما في قوله تعالى: { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } .

الجمع بين هذه الوجوه أن يقال: إن الإفراد لا ينافي التثنية، ولا الجمع؛ لأن المفرد المضاف يعمّ فيتناول كل ما ثبت لله من يد، أو عين واحدة كانت أو أكثر. وأما الجمع بين ما جاء بلفظ التثنية وبلفظ الجمع فإن قلنا: أقل الجمع اثنان فلا منافاة أصلاً بين صيغتي التثنية والجمع؛ لاتحاد مدلوليهما. وإن قلنا:
أقل الجمع ثلاثة وهو المشهور فالجمع بينهما أن يقال: إنه لا يراد من صيغة الجمع مدلولها الذي هو ثلاثة فأكثر، وإنما أريد بها - والله أعلم - التعظيم والمناسبة، أعني مناسبة المضاف للمضاف إليه؛ فإن المضاف إليه، وهو "نا" يراد به هنا: التعظيم قطعاً؛ فناسب أن يُؤتى بالمضاف بصيغة الجمع ليناسب المضاف إليه؛ فإن الجمع أدلّ على التعظيم من الإفراد والتثنية، وإذا كان كل من المضاف والمضاف إليه دالًّا على التعظيم حصل من بينهما تعظيم أبلغ. [22]

انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص٥٩ .

انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ٥٩ .

***

٢٣/ الجمع بين كون الأنبياء معصومين من فعل الكبائر ، وما وقع لبعضهم من قتل النفس بغير حق ، وقتل النفس من الكبائر .

---

*والجواب : أن قتلهم للنفس يكون بتأويل وإذا كان بتأويل فقد يكون الشيء كبيرة لكن في حقهم ليس بكبيرة لأنهم لم يتعمدوا .[32]

***

٢٤/ الجمع بين النهي عن الانتساب إلى غير الأب كما في حديث (لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن أبيه ، فهو كافر) وبين انتساب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى جده عبد المطلب حيث قال : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

نقول : وأما إذا انتمى الإنسان إلى جده ، أو أبي جده ، وهو مشهور ومعروف دون أن ينتفي من أبيه فلا بأس بهذا فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - " أنا النبيُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب " مع أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فعبد المطلب جده ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - قال ذلك في غزوة حنين ، لأن عبد المطلب أشهر من أبيه عبد الله ، وهو عند قريش في المكانة العليا فلهذا قال : " أنا ابن عبد المطلب " ، لكنه من المعلوم أنه محمد بن عبد الله ، فلم ينتف من أبيه ، ولم يبعد عنه ولكنه انتسب إلى جده لشهرته فقط ، وكذلك أيضًا الناس ينتسبون إلى اسم القبيلة : فيقول مثلاً : أحمد بن تيمية وما أشبه ذلك ، لكن الذي عليه الوعيد هو الذي ينتمي إلى غير أبيه ، لأ نه غير راض بحسبه ونسبه فيريد أن يرفع نفسه بالانتماء إلى غير أبيه فهذا هو الذي عليه اللعنة - والعياذ بالله . يوجد - والعياذ بالله - من يفعل ذلك

---

32 انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٥٧٤ .

للدنيا ، يوجد أُناس - مثلاً - ينتسبون إلى أعمامهم دون آبائهم للدنيا ، كما يوجد الآن أناس معهم جنسيتان ، إلى عمه أو إلى خاله أو ما أشبه ذلك ، لينال بذلك شيئاً من الدنيا ، ولا يحل له ذلك وهذا حرام عليه ، والواجب على من كان كذلك أن يعدل عنه إلى الوضع الصحيح ومن اتقى الله عزَّ وجلَّ جعل له من أمره يسرًا ورزقه من حيث لا يحتسب . والله الموفق .[42]

***

٢٥/ الجمع بين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت : اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإنه لا مكره له) . وبين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن وجده مريضاً : (لا بأس ، طهور إن شاء الله) الحديث .

نقول : قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمن وجده مريضاً " لا بأس ، طهور إن شاء الله " فهذا من باب الرجاء وهو يعني أرجو أن يكون هذا طهورًا . وأيضاً لم يكن بلفظ المخاطبة ، لم يقل : إن شئت ، وإنما قال : إن شاء الله ، واللفظ بغير المخاطبة أهون وقعاً من اللفظ الذي يأتي بالمخاطبة ، والله أعلم .

***

٢٦/ الجمع بين حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - لما سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أفضل ؟ قال (إيمان بالله ورسوله) الحديث وبين حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - لما سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : (الصلاة على وقتها) الحديث .

---

[42] انظر التعليق على صحيح مسلم ٢٥٨/١ .

الجمع أن نقول : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله وكما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للرجل الذي قال : أوصني ، قال : ((لا تغضب)) قال : أوصني ، قال : ((لا تغضب)) قال : أوصني ، قال : ((لا تغضب)) . ما قال : أوصيك بتقوى الله ، وبالعمل الصالح ؛ لأن هذا الرجل يليق بحاله أن يوصي بترك الغضب ، لأنه غضوب . فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله ، ويعلم هذا بتتبع الأدلة العامة في الشريعة ، وبيان مراتب الأعمال والله الموفق . [52]

***

٢٧/ الجمع بين عتاب الله لداود عليه السلام حيث أنه لم يستمع لدعوى الخصم الثاني ، وبين إذن النبي - صلى الله عليه وسلم - لهند بنت عتبة أن تأخذ من مال زوجها مَا يكفيهاَ ويكفي بنيها دون أن يستمع لزوجها .

قال العلماء : إن هذا من باب الإفتاء وليس من باب الحكم والقضاء . [62]

***

٢٨/ الجمع بين حديث (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقة) وبين الأحاديث الدالة على أنه لا يُحرم من دخول الجنة إلا من كان كافراً كفراً محضاً .

الجمع أن نقول : لا يدخل الدخول المطلق الذي لن يسبق بعذاب من لا يأمن جاره بوائقه ، وأما مطلق الدخول فأنه حاصل ، لأن من لا يأمن جاره بوائقة ليس كافراً حتى نقول : إن الجنة عليه حرام ، وبهذا يحصل الجمع بين هذا

انظر التعليق على صحيح مسلم ٢٩٥/١ .

انظر التعليق على القواعد والأصول الجامعة ص ٣٥٣ .

الحديث وبين الأحاديث الدالة على أنه لا يُحرم من دخول الجنة إلا من كان كافراً كفراً محضاً .[72]

***

٢٩/ الجمع بين قول الله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة .....) الآية ، وحديث (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب اليم : شيخ زان ....) الحديث ، وبين تكليم الله لأهل النار كما في قوله تعالى : (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) .

الجمع أن نقول : المنفي هو تكلم الرضا ، ولكن قد يكلمهم تكليم أهانه وتقريع وتوبيخ كما في قوله تعالى : (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) .[82]

***

٣٠/ الجمع بين عموم نظر الله عز وجل ، وبين قول الله تعالى : (ولا ينظر إليهم يوم القيامة ...) الآية وحديث (ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ...) الحديث .

الجمع أن نقول : لا ينظر إليهم نظر رحمة وعطف ورأفة : وذلك لأنهم ليسوا أهلا للرحمة . قال الله تعالى : (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقونه ويؤتون الزكاة والذين هم بأياتنا يؤمنون) وأما غيرهم فليس لهم من رحمة الله نصيب في الآخرة .[92]

***

انظر التعليق على مسلم ٢١٦/١ .
انظر تفسير سورة آل عمران ٤٤١/١ .
انظر تفسير سورة آل عمران ٤٤١/١ .

٣١/ الجمع بين كون الله لا يطلق عليه عارف ، بل يطلق عليه عالم ، وبين حديث : (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) الحديث .

نقول : هذه معرفة خاصة تستلزم العناية بالذي تعرف إلى الله من قبل ، والدليل على أنها ليست معرفة العلم بل هي معرفة العناية قوله : (تعرف إلى الله) مع أن الله يعرفك سواء قمت بعبادته أم لم تقم . لكن إذا قمت بعبادته فقه تعرفت إليه ، فإذا تعرفت إليه في الرخاء عرفك في الشدة . [03]

***

٣٢/ الجمع بين حديث (وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ...) وبين قول زكريا عليه السلام (فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب .....) .

نقول : المراد بقول زكريا عليه السلام إرث العلم والنبوة وليس إرث المال ، فالأنبياء لا يورثون ما ورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا هذا العلم - صلوات الله وسلامه عليهم - وهذا أعظم ميراث ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ، أي بنصيب وافر كثير ...) [13]

***

٣٣/ الجمع بين قول الله تعالى : (وما الله يريد ظلماً للعالمين) وبين قوله : (وما ربك بظلام للعبيد) .

نقول : لا منافاة لأنه إذا انتفت إرادة الظلم لزم نفي الظلم ، وإذا انتفى الظلم

انظر تفسير سورة آل عمران ١/٤٢٠ .
انظر شرح رياض الصالحين ٥/٤٤٣ .

لزم انتفاء إرادته ؛ لأن الله تعالى قادر لو اراد أن يظلم لظلم .[23]

***

٣٤/ الجمع بين قول الله تعالى : (ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ...) الآية وبين استئذان النبي - صلى الله عليه وسلم - ربه - بعد نزول هذه الآية - في زيارة قبر أمه والاستغفار لها .

والجواب ظاهر ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لما علم أن الله تعالى قد خفف عن عمه أبي طالب ، استأذن ربه في الاستغفار لأمه لعله أن يخفف عنها ، فلم يأذن له ، وهذا يدل على أنه لا اعتبار بالقرب وإلا لقال قائل : إن التخفيف عن أم الرسول أولى من التخفيف عن عمه ! والجواب : أنه لم يكن لأمه ما كان لعمه من النصرة والدفاع عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم .[33]

***

٣٥/ الجمع بين منع الانحناء لغير الله كما في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لما سئل أينحني لأخيه أو صديقه قال : لا .... ، الحديث ، وبين سجود إخوة يوسف ليوسف عليه السلام كما في قوله تعالى : (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً) .

نقول : إن هذا من شريعة سابقة وشريعتنا الإسلامية قد نسخته ، ومنعت من ذلك ، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد ، وإن لم يرد بذلك العبادة ، ولا ينحني له ، حتى الانحناء منع منه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا لاقاك أحد يجهل هذا الأمر و انحنى لك ، فانصحه وأرشده ، قل له : هذا ممنوع لا تنحني ، ولا تخضع إلا لله وحده .[43]

انظر تفسير سورة آل عمران ٤٥/٢ .
انظر التعليق على صحيح مسلم ١٦٤/١ .

***

٣٦/ الجمع بين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) الحديث وبين قوله : (والشر ليس إليك) فنفى أن يكون الشر إليه .

قلنا : الجمع بين هذا ، وبين حديث عمر هذا ، أن نقول : الشر ليس في الفعل ، ولكنه في المفعول ، يعني : أن كان يضر العباد ، لكن المقضي والمقدور هو الذي يكون شرًّا . والمقدور - كما نعلم - ليس من صفات الله ، لكنه من مخلوقات الله ، فهو بائن منفصل عنه عزَّ وجلَّ . ثم هذا الشر في المقدور ، هل هو شر محض ؟ وهل هو شر عام ؟ بمعنى هل هو شر لمن قُدِّر عليه ؟ وهل شر عامٌ لجميع الناس ؟ ولنضرب لذلك مثلاً برجل أصيب بمصيبة على إثر ذنب ارتكبه ؛ لقوله تعالى : (وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) . فهذه المصيبة تكفر الذنب الذي فعله ، فصارت هذه المصيبة خيرًا من وجه ، وشرًّا من وجه ، وليست شرًّا محضًا ؛ بل فيها خير وشر ، وحينئذ يكون تقدير الله لها خيرًا أو شرًّا ؟ الجواب : أن تقديره لها خيرٌ ؛ لأن الله كفَّر بها عن سيئات هذا الرجل . فإذا صار الشر - الذي أصاب هذا _ ليس شرًّا محضًا - حتى بالنسبة له - بل شر من وجه ، وخير من وجه ، فأما وجه الشر فيه : فما لحقه فيه من الأذى والضرر ، ووجه الخير فيه : كون هذه المصيبة كفارةً لسيئاته ، فإن صبر واحتسب ؛ كان فيه رفعةَ درجاته مثال آخر : لو أن شخصًا عنده زرع قد ودعه ، أي : أنهى سقيه ، والزرع إذا أنهي سقيه ، فإن الماء بعد ذلك يضره ، فأمطر الله سيلاً عظيمًا ، فهذا السيل بالنسبة لصاحب الزرع شر ؛ لأنه يضر زرعه ، لكنه بالنسبة للعامة خير . وخلاصة ما سبق أمران : الأمر الأول : أن الشر ليس في قضاء الله وقدره - الذي هو فعله - ولكنه في مفعولاته ، والمفعولات مخلوقات بائنة منفصلة عن الله . الأمر الثاني : أن هذه المفعولات - التي فيها الشر - ليس شرًّا محضًا ، وليست شرًّا عامًّا ؛ بل هي بالنسبة لمن

انظر شرح رياض الصالحين ٤/٤٤٧ .

أصيب بها - خير من وجه ، وشر من وجه آخر ، وبالنسبة لعامة الناس تكون خاصة ، فبهذا تبين معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : " والشر ليس إليك " . وتأمل قول الله تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس). هذا عام ، (ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) . أي ليذيقهم جزاء بعض الذي عملوا ، لعلهم يرجعون ، فرجوعهم إلى الله خير من الدنيا كلها ، فصار في قضاء الله تعالى هذا - في الفساد - خير . فانتبه لهذا .[53]

***

٣٧/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم "كُلَّ مُحدَثَةٍ بدعَةٌ" وبين قوله "مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجرُها وَأَجرُ مَن عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوم القِيامَةِ" .

فالجواب من وجهين: الوجه الأول:أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً" أي من ابتدأ العمل بالسنة، ويدل لهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره بعد أن حث على الصدقة للقوم الذين وفدوا إلى المدينة ورغب فيها، فجاء الصحابة كلٌّ بما تيسر له، وجاء رجل من الأ نصار بصرة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةَ فَلَهُ أَجرَها وَأَجرُ مَن عَمِلَ بِهَا إِلَى يَومِ القِيامَةِ" أي ابتدأ العمل سنة ثابتة، وليس أنه يأتي هو بسنة جديدة، بل يبتدئ العمل لأ نه إذا ابتدأ العمل سن الطريق للناس وتأسوا به وأخذوا بما فعل. الوجه الثاني: أن يقال: "مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً" أي سن الوصول إلى شيء مشروع من قبل كجمع الصحابة المصاحف على مصحف واحد، فهذا سنة حسنة لاشك، لأن المقصود من ذلك منع التفرق بين المسلمين وتضليل بعضهم بعضاً. كذلك أيضاً جمع السنة وتبويبها وترتيبها، فهذه سنة حسنة

---

[53] انظر التعليق على صحيح مسلم ٩٨/١ ، وشرح رياض الصالحين ٤٧٨/١ .

يتوصل بها إلى حفظ السنة. إذاً يُحمَل قوله: "مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنَةً" على الوسائل إلى أمور ثابتة شرعاً، ووجه هذا أننا نعلم أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يتناقض، ونعلم أنه لو فُتِحَ الباب لكل شخص أو لكل طائفة أن تبتدع في الدين ما ليس منه لتمزقت الأمة وتفرقت،وقد قال الله عزّ وجل: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [63]

***

٣٨/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم : "لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَارَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهِ" وبين النصوص الأخرى الدالة على أن الإنسان يدخل الجنة بعمله ، كحديث (أخبرني يعمل يدخلني الجنة) .

أجاب العلماء - رحمهم الله، فقهاء الإسلام، أطباء القلوب والأبدان، ممن علمهم الله ذلك - فقالوا: الباء لها معنيان: تارة تكون للسببية، وتارة تكون للعوض. فإذا قلت: بعت عليك هذا الكتاب بدرهم، فهذه للعوض. وإذا قلت: أكرمتك بإكرامك إياي، فهذه للسببية. فالمنفي هو باء العوض، والمثبت باء السببية. فقالوا: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ" أي على أن ذلك معاوضة، لأنه لوأراد الله عزّ وجل أن يعاوض العباد بأعمالهم وجزائهم لكانت نعمة واحدة تقضي على كل ما عمل، وأضرب مثلاً بنعمة النَّفَس، نعمة النفس هذه نعمة عظيمة لايعرف قدرهاإلا من ابتلي بضيق النفس، واسأل من ابتلوا بضيق النفس ماذا يعانون من هذا، والرجل الصحيح الذي ليس مصاباً بضيق النفس لايجد كلفة في التمتع بهذه النعمة، فتجده يتنفس وهو يتكلم، ويتنفس وهويأكل ولايحس بشيء. هذه النعمة لو عملت أي عمل من الأعمال لاتقابلها، لأن هذه نعمة مستمرة دائماً، بل نقول:

---

63 انظر شرح الأربعين ص٣١٠ .

إذا وفقت للعمل الصالح فهذا نعمة قد أضل الله عزّ وجل عنها أمماً، وإذا كان نعمة احتاج إلى شكر، وإذا شكرت فهي نعمة تحتاج إلى شكر آخر، ولهذا قال الشاعر: إذا كانَ شكري نعمةَ

اللهِ نعمةً *** عليَّ لهُ في مثلها يجب الشكرُ

فكيفَ بلوغُ الشُّكرِ إلاَّ بفضلهِ *** وإن طالت الأيام واتّصل العمر .[73]

***

٣٩/ الجمع بين كون الرسل عليهم السلام أمواتا كما في قول الله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ، وقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ)، وقوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)، وبين كون الشهداء - وهم دونهم - أحياء ، كما في قول الله تعالى : (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) *

والجواب : أن هذه الحياة التي للشهداء يكون للأنبياء والرسل أعظم منها ، لكنها حياة برزخية لا حياة دنيا ولا حياة جسم ، وإنما هي حياة برزخية ، الله اعلم بكيفيتها. فالحاصل أن حياة الرسل والأنبياء في قبورهم أكمل من حياة الشهداء بلا شك ، لأنهم أفضل عند الله ، ولكن من المتعين أن هذه الحياة حياة برزخية لا حياة دنيوية وإلا لوجب علينا أن نأتي بالطعام والشراب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام كل يوم .[83]

***

٤٠/ الجمع بين قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إنك لا تهدي من أحببت) وقوله : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) .

انظر شرح الأربعين ص٣٢٤ .

انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٥٧٦

الجمع بينهما أن نقول : إن الهداية التي نفاها الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم هي هداية التوفيق ، والهداية التي أثبتها له هي هداية الدلالة والإرشاد . [93]

***

٤١/ الجمع بين قوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ......) الآية . وبين قول الرسول عليه الصلاة والسلام للرجل لما قال له: ما شاء الله وشئت: قال «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده».*

فالجواب: أن الأمور الشرعية لا حرج أن تقرن الرسول عليه الصلاة والسلام مع الرب عزّ وجل بالواو، وأما الأمور الكونية فلا يجوز؛ لأنها من خصائص الربوبية، وفعل العبد بعد فعل الله، أما الحكم فإن حكم الرسول حكم لله، ولهذا قال الله عزّ وجل: { {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ}}ولم يقل: ثم رسوله؛ لأن هذا الإيتاء إيتاء شرعي، إيتاء للزكاة والأموال الشرعية، أما الأمور الكونية فلأ نها من خصائص الربوبية، فلا بد أن يكون فعل العبد بعد فعل الله، فقول: « ما شاء الله وشئت» لا يجوز؛ لأنه جعلت مشيئة الرسول صلّى الله عليه وسلّم كمشيئة الله، وليس كذلك، لكن طاعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم كطاعة الله، قال الله: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} فجعل الله طاعة الرسول طاعة له. *وأما حديث علي بن حاتم في صحيح الإمام مسلم قال: أن رجلاً خطب عند النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» فأحسن ما قيل في الجواب عن ذلك: أن الرسول صلّى الله عليه وسلّم أثنى عليه شراً، لكون المقام لا يقتضي هذا، فالمقام يقتضي أن يفصل ويبسط؛ لأنه ربما تخاطب قوماً بمثل هذا الخطاب فيظن أنه لا يكون غي إلا إذا كان الأمر من الله ورسوله، فلكل مقام

انظر مجموع الفتاوي ٧٢/١١ ،والقول المفيد ٣٤٨/١ ،وتفسير الفاتحة والبقرة ٥٣/١ .

مقال، فالرسول عليه الصلاة والسلام إنما أثنى عليه شراً؛ لكونه لم يستعمل في الخطبة السياق المناسب، لا لأن هذا ممنوع؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه قال مثل هذا. وما ذكره بعض العلماء حيث قال: إنما أنكر عليه لأ نه قال: «من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما» وسكت، ثم قال: «فقد غوى»، فكأن قوله: «يعصهما» معطوفة على «يطع»، فهذا بعيد، ويحتاج لإ ثبات أنه سكت، ثم لو سكت المتكلم فقال: «ومن يعصهما»، ثم قال: «فقد غوى» فإنه يعرف أن هذه الجملة مفرعة على ما قبلها.[04]

***

٤٢/ الجمع بين قوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وبين قوله تعالى: {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ *ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ *} *

فالجواب من أحد وجهين:* *الوجه الأول : إما أن يكون ذلك على سبيل التهكم به.* *الوجه الثاني : وإما أن يكون هذا ليذكر حاله في الدنيا، والمعنى: أنت العزيز الكريم في الدنيا؛ حتى يزداد حسرة، وهو أنه في الدنيا كان عزيزاً كريماً، والآن صار ذليلاً مهيناً. وكلا الأمرين يحصلان لهذا الذي يوجه له هذا الخطاب، فإنه يصب من فوق رأسه الحميم، ثم يقال: { {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ *}}، ولا شك أنه سوف يرى أنه يقال له ذلك على سبيل التهكم، ثم يذكر هو أيضاً حاله في الدنيا، وأنه كان في الدنيا عزيزاً مكرماً، والآن وصل إلى هذا الحد من الإهانة والعياذ بالله .[14]

***

٤٣/ الجمع بين كون الله عز وجل توابا رحيما أزلا وأبدا ، وبين قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا }، فإن المعروف أن «كان» للمضي، ويفهم منها أن

انظر تفسير سورة النساء ١/١١٥ .
انظر تفسير سورة النساء ١/١٢٢ .

هذا الوصف كان فزال .

وقد أجاب العلماء عن هذا الإشكال: بأن «كان» قد تسلب منها الدلالة على الزمن، ويكون المراد بها تحقق الاتصاف بخبرها، وكل ما أضيف إلى الله من هذا التركيب فإن هذا هو المراد به؛ كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} ، وقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)، وقوله: { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا}وما أشبه ذلك. فالمراد أنه متصف به أزلاً وأبداً، ولكن أتت « كان» لتحقيق اتصافه بهذا الوصف.*[24]

***

٤٤/ الجمع بين كون التوبة لا تنفع عند حضور الأجل، كما في قوله تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن .....) وبين قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم لعمه أبي طالب حينما حضره الموت: «قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» *

والجواب من وجهين: *الوجه الأول: أن هذه قضية عين، فكما أن أبا طالب ينتفع بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام دون غيره من الكافرين، فقد ينتفع بإسلامه دون غيره من التائبين في هذه الحال.* *الوجه الثاني: أن النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يجزم بأنها تنفعه، بل قال: «أحاج لك بها عند الله»، والمحاج قد تقبل حجته وقد لا تقبل، فإذا كان هذا الحديث لا يدل على أنها تقبل جزماً، فإنه من المتشابه الذي يحمل على المحكم، وهو أن التوبة في هذه الحال لا تقبل.* [34]

***

انظر تفسير سورة النساء ١/١٣٢ .

انظر تفسير سورة النساء ١/ ١٤٨ .

٤٥/ الجمع بين كون الإنسان ينقطع عمله بموته كما في حديث (إذا مات الإنسان انقطع عمله ....) الحديث وبين قوله تعالى:(وليست التوبة للذين يعملون السيئات ....) إلى قوله {وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} *

فنقول: المراد بذلك ندمهم يوم القيامة، حيث يندمون ويقولون: {يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}قال الله تعالى: {بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ *}، فتوبة الكافر بعد الموت يراد بها: ندمه الذي يظهره يوم القيامة، فإن ذلك لا ينفعه؛ لأن وقت العمل قد انتهى، وما بقي إلا وقت الجزاء والحساب.* [44]

***

٤٦/ - الجمع بين قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ} وقوله {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} وبين قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} وبين قوله: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} *

والجواب عن هذا الظاهر أن يقال: نسب الله تعالى التوفي إليه لأنه بأمره، وما وقع بأمر الملك فإنه كفعله، حتى في عامة حديث الناس، ولهذا يقال: بنى عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط، وعمرو لم يبن، وإنما أمر .* *وأما الجمع بين كونه ذكر في هذه الآية وأمثالها بصيغة الجمع، وفي آية السجدة بصورة الإفراد، فيقال: ملك الموت مفرد مضاف فيعم، ولا ينافي الجمع؛ لأن المفرد المضاف يعم فلا ينافي الجمع، وهذا وجه ضعيف، أو يقال: إن الملائكة تساعد ملك الموت، كما جاء في الحديث الصحيح: أنهم يأمرون الروح فتخرج من الجسد، حتى إذا لم يبق إلا قبضها تولى قبضها ملك الموت، فإضافة الوفاة أو التوفي إلى الملائكة بالجمع لأنهم أعوان لملك الموت، وإضافة التوفي إلى ملك الموت لأنه هو المباشر لقبض الروح.*

انظر تفسير سورة النساء ١٤٢/١ .

وهنا يرد إشكال آخر ويقال: إننا نجد أنفساً تقبض في المشرق وفي المغرب، وبينهما من المسافات ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجل، فكيف يقال: إن ملك الموت واحد، وكيف يتصور أن واحداً يقبض العديد من الناس في أماكن بعيدة متفرقة؟* *فيقال: قد يكون المراد بملك الموت جنس الملك؛ أي: الملك الموكل بقبض الأرواح وإن كان أكثر من واحد، فيكون المراد به الجنس لا العين، وهذا وجه ضعيف، ويجاب بوجه آخر وهو: أن هذا من أمور الغيب، والواجب علينا في أمور الغيب أن نصدق بها وإن لم تدركها عقولنا، وهذا أبلغ في التسليم لخبر الله عزّ وجل؛ حتى لا نتكلف في الجواب ونقول: إن ملك الموت يراد به الجنس؛ وهو أكثر من واحد، فنقول: إن الله عزّ وجل على كل شيء قدير، وملك الموت يقبض الأرواح وإن كانت متباعدة، وإن كانت في آن واحد، وعلينا أن نصدق ونسلم.* [54]

***

٤٧/ الجمع بين عموم علم الله في كل شيء حتى بما نعمل ، كما في قوله تعالى : {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ *} وبين قوله {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ}، وقوله {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ *} .

نقول: الطريقة السليمة هنا أن تؤمن بهذا وهذا، ولا تحاول إثبات أن هناك تعارضاً، فتقول: نحن نؤمن بأن الله سبحانه يعلم ما نعمل من قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، بل من قبل ذلك أيضاً، لكن الكتابة كانت قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وتؤمن بأن الله تعالى يبتلينا ويختبرنا ليعلم، لكن قد لا تطمئن النفس إلى الاستسلام المجرد، فنقول: علم الله سبحانه الذي يكون بعد عملنا وبعد اختبارنا علم يترتب عليه الثواب

انظر تفسير سورة النساء ١١٢/٢ .

أو العقاب؛ لأنه لا يمكن أن يثاب العبد أو يعاقب إلا إذا امتحن، أما علمه السابق فهو سبحانه عالم بأنه سيمتحننا، وأننا سنعمل أو نترك، لكن إذا وقع الابتلاء والامتحان ثم خالف الإنسان أو وافق فهذا هو العلم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، يعني: يترتب عليه الجزاء، فهذا هو العلم الذي قيد بالابتلاء والاختبار.

وفرق بعض العلماء بفرق آخر فقال: علم الله سبحانه بما لم نعمل علم بأنه سيكون، وعلمه بما عملناه علم بأنه كان، فتعلق العلم الأول بما يكون علم بشيء لم يقع، وتعلق العلم بما كان علم بأنه قد وقع، وهذا لا بأس به، ولكن العمدة الأول. 64

***

٤٨/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه -عز وجل- (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ...) الحديث ، وبين قول النبي صلى الله عليه وسلم (الدنيا ملعونة ملعون مافيها ...). الحديث .

نقول :حديث (الدنيا ملعونة ملعون مافيها) أظن أنه ضعيف ، وعلى تقدير صحته فليس هذا من باب السب، وإنما هو من باب الخبر وأنه لاخير فيها إلا عالم ومتعلم ، أو ذكر الله وما والاه ، و أما سب الدهر فهو عيبه ولومه والتسخط مما وقع فيه ، وإضافة هذا الشيء إلى الدهر مع أن الأمر كله بيد الله- عز وجل - كما جاء في الحديث نفسه : (وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) 74

***

٤٩/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم : (.... فيؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد) وقوله : (من أحب أن

انظر تفسير سورة النساء ٢٩٢/٢ .

انظر : مجموع الفتاوى ١/١٩٨ .

يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) فيفهم منه أن الأجل يتمدد .

الجمع بينهما أن يقال : إن الأجل محدد ، وأن من كتب له أن يموت في مدة معينة فإنه لايتعداها ولا ينقص عنها ، وأن من وصل رحمه فقد كتب له في الأصل أنه واصل وأن أجله محدود ، والفائدة من قوله عليه الصلاة والسلام : (من أحب) هي حث الناس على صلة الرحم ، ليكتب له هذا كغيره من الأسباب التي تترتب عليها مسبباتها . [84]

***

٥٠/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم :(المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) وبين قوله: « ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله».

نقول : كلمة (شمال) اختلف فيها الرواة، فمنهم من أثبتها، ومنهم من أسقطها، وقد حكموا على من أثبتها بالشذوذ، لأنه خالف ثقتين في روايتها عن ابن عمر. ومنهم من قال: إن ثقة ولكنه قالها من تصرفه. وأصل هذه التخطئة هو ما ثبت في (صحيح مسلم) أن الرسول قال: «المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين»، وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال. ولكن إذا كانت لفظة (شمال) محفوظة، فهي عندي لا تنافي: «كلتا يديه يمين»، لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليمني، فقال: «كلتا يديه يمين»، أي: ليس فيها نقص، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة»، فلما كان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمال، يعني: النقص في هذه اليد دون الأخرى، قال: «كلتا يديه يمين»، ويؤيده أيضًا قوله: «المقسطون على منابر من نور

انظر مجموع الفتاوى ٥/٢٣١ وشرح العقيدة السفارينية ٣٥٧ وشرح رياض الصالحين ١/٤٧٤

على يمين الرحمن»، فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم على يمين الرحمن سبحانه. وعلى كل، فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمني، بل كلتا يديه يمين. [94]

***

٥١/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله ، فقد كفر أو أشرك) وبين ما ثبت في " صحيح مسلم " من قوله - صلى الله عليه وسلم -: (أفلح وأبيه إن صدق) .

فالجواب عنه من وجوه: الأول: أن بعض العلماء أنكر هذه اللفظة، وقال: إنها لم تثبت في الحديث، لأنها مناقضة للتوحيد، وما كان كذلك، فلا تصح نسبته إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فيكون باطلًا. الثاني: أنها تصحيف من الرواة، والأصل: (أفلح والله إن صدق). وكانوا في السابق لا يشكلون الكلمات، " وأبيه " تشبه، " الله " إذا حذفت النقط السفلي. الثالث: أن هذا مما يجري على الألسنة بغير قصد، وقد قال تعالى: {ولا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان} ، وهذا لم ينو فلا يؤاخذ. الرابع: أنه وقع من النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أبعد الناس عن الشرك، فيكون من خصائصه، وأما غيره، فهم منهيون عنه لأنهم لا يساوون النبي - صلى الله عليه وسلم - في الإخلاص والتوحيد. الخامس: أنه على حذف مضاف، والتقدير: (أفلح ورب أبيه). السادس: أن هذا منسوخ، وأن النهي هو الناقل من الأصل، وهذا أقرب الوجوه ولو قال قائل: نحن نقلب عليكم الأمر، ونقول: إن المنسوخ هو النهي، لأنهم لما كانوا حديثي عهد بشرك نهوا أن يشركوا به كما نهي الناس حين كانوا حديثي عهد بشرك عن زيارة القبور ثم أُذن لهم فيها ؟ فالجواب عنه: أن هذا اليمين كان جاريًا على

انظر القول المفيد ٥٣٤/٢ .

ألسنتهم، فتركوا حتى استقر الإيمان في نفوسهم ثم نهوا عنه، ونظيره إقرارهم على شرب الخمر أولًا ثم أمروا باجتنابه. أما بالنسبة للوجه الأول، فضعيف لأن الحديث ثابت، وما دام يمكن حمله على وجه صحيح، فإنه لا يجوز إنكاره. وأما الوجه الثاني، فبعيد وإن أمكن، فلا يمكن في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما سئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال: (أما وأبيك لتنبأنه) . وأما الوجه الثالث، فغير صحيح لأن النهي وارد مع أنه كان يجري على ألسنتهم كما جرى على لسان سعد فنهاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولو صح هذا، لصح أن يقال لمن فعل شركًا اعتاده لاينهى، لأن هذا من عادته، وهذا باطل. وأما الرابع، فدعوى الخصوصية تحتاج إلى دليل، وإلا، فالأصل التأسي به. وأما الخامس: فضعيف لأن الأصل عدم الحذف، ولأن الحذف هنا يستلزم فهمًا باطلًا، ولا يمكن أن يتكلم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يستلزم ذلك بدون بيان المراد، وعلى هذا يكون أقربها الوجه السادس أنه منسوخ، ولا نجزم بذلك لعدم العلم بالتاريخ، ولهذا قلنا أقربها والله أعلم، وإن كان النووي رحمه الله ارتضى أن هذا مما يجري على اللسان بدون قصد، لكن هذا ضعيف لا يمكن القول به، ثم رأيت بعضهم جزم بشذوذها لانفراد مسلم بها عن البخاري مع مخالفة راويها للثقات، فالله أعلم. [05]

***

٥٢/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) وبين قوله : (فر من المجذوم فرارك من الأسد) وقوله : (لا يورد ممرض على مصح) .

نقول : هذا النفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود، لأنها موجودة، ولكنه نفي للتأثير، فالمؤثر هو الله، فما كان منها سببًا معلومًا، فهو سبب صحيح، وما كان منها سببًا موهومًا، فهو سبب باطل، ويكون نفيًا لتأثيره

انظر القول المفيد ٧٩٨/٢ .

بنفسه إن كان صحيحًا، ولكونه سببًا إن كان باطلاً. فقوله: "لا عدوى": العدوى موجودة، ويدل لوجودها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا يورد ممرض على مصح) ، أي: لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإ بل الصحيحة، لئلا تنتقل العدوى. وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (فر من المجذوم فرارك من الأسد) . والجذام مرض خبيث معد بسرعة ويتلف صاحبه، حتى قيل: إنه الطاعون، فالأمر بالفرار من المجذوم لكي لا تقع العدوى منه إليك، وفيه إثبات لتأثير العدوى، لكن تأثيرها ليس أمرًا حتميًا، بحيث تكون علة فاعلة، وأمر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالفرار، وأن لا يورد ممرض على مصح من باب تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب بنفسها، فالأسباب لا تؤثر بنفسها، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التي تكون سببًا للبلاء، لقوله تعالى: {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}، ولا يمكن أن يقال: إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينكر تأثير العدوى، لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى. فإن قيل: إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قال: "لا عدوى. قال رجل: يا رسول الله الإبل تكون صحيحة مثل الظباء، فيدخلها الجمل الأجرب فتجرب؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فمن أعدى الأول؟) ، يعني أن المرض نزل على الأول بدون عدوى، بل نزل من عند الله ـ عز وجل ـ، فكذلك إذا انتقل بالعدوى فقد انتقل بأمر الله، والشيء قد يكون له سبب معلوم وقد لا يكون له سبب معلوم وقد لا يكون له سبب معلوم، فجرب الأول ليس سببه معلومًا، إلا أنه بتقدير الله تعالى، وجرب الذي بعده له سبب معلوم، لكن لو شاء الله تعالى لم يجرب، ولهذا أحيانًا تصاب الإبل بالجرب، ثم يرتفع ولا تموت، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية، وقد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ويسلم آخرون ولا يصابون. فعلى الإنسان أن يعتمد على الله، ويتوكل عليه، وقد روي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاءه رجل مجذوم، فأخذ بيده وقال له: "كل" يعني من الطعام الذي كان يأكل منه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ، لقوة توكله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذا التوكل مقاوم لهذا السبب المعدي. وهذا الجمع الذي أشرنا إليه هو أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث، وادعى بعضهم

النسخ، فمنهم من قال: إن الناسخ قوله: "لا عدوى"، والمنسوخ قوله: "فر من المجذوم"، و"ولا يورد ممرض على مصح"، وبعضهم عكس، والصحيح أنه لا نسخ، لأن من شروط النسخ تعذر الجمع، وإذا أمكن الجمع وجب الرجوع إليه، لأن في الجمع إعمال الدليلين، وفي النسخ إبطال أحدهما، وإعمالهما أولى من إبطال أحدهما، لأننا اعتبرناهما وجعلناهما حجة، وأيضًا الواقع يشهد أنه لا نسخ . [15]

***

٥٣/ الجمع بين قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ...) وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ...) وقوله (...... آت محمدا الوسيلة .....) وبين قو ل الله تعالى: {لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} .

والجواب: أن النهي في الآية عن مناداته باسمه، وأما في باب الإخبار فلا نهيَ في ذلك. *وفي الآية قولٌ آخر؛ وهو أن قوله: {لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} من باب إضافة المصدر إلى فاعله لا إلى مفعوله، يعني: لا تجعلوا دُعاءَ الرَّسول إيَّاكم كدُعاء بعضكم بعضاً، إن شئتم أجبتم، وإن شئتم لم تجيبوا، بل تجب إجابته.* [25]

***

٥٤/ الجمع بين قول النبي صلى الله عليه وسلم : (السيد الله تبارك وتعالى) لما قالوا له أنت سيدنا ، وبين قوله (أنا سيد ولد آدم ...) وقوله (قوموا إلى سيدكم) وقوله في الرقيق (وليقل سيدي) .

انظر القول المفيد ٥٦٦/١ .

انظر الشرح الممتع ٩٠/٢ .

جرى شراح هذا الحديث على أن النبي نهاهم عن قول سيدنا: فحاولوا الجمع بين هذا الحديث وبين قوله:«أنا سيد ولد آدم»، وقوله: «قوموا إلى سيدكم»، وقوله في الرقيق: و: «ليقل سيدي ومولاي» بواحد من ثلاثة أوجه: الأول: أن النهي على سبيل الكراهة والأدب، والإباحة على سبيل الجواز. الثاني: أن النهي حيث يخشى منه المفسدة، وهي التدرج إلى الغلو والإباحة إذا لم يكن هناك محذور. الثالث: أن النهي بالخطاب، أي: أن تخاطب الغير بقولك: أنت سيدي أو سيدنا، بخلاف الغائب، لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو وترفع، ثم إن فيه شيئًا أخر، وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير، مثل: «قوموا إلى سيدكم»، أو على سبيل الغيبة، كقول العبد: قال سيدي ونحو، لكن هذا يرد عليه إباحته للرقيق أن يقول لمالكه: سيدي. والذي يظهر لي أن لا تعارض أصلًا، لأن النبي أذن لهم أن يقولوا بقولهم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشيطان بالغلو مثل (السيد)، لأن السيد المطلق هو الله تعالى، وعلي هذا فيجوز أن يقال: سيدنا وسيد بني فلان ونحوه ولكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلًا لذلك، أما أذا لم يكن أهلًا كما لو كان فاسقًا أو زنديقًا، فلا يقال له ذلك حتى ولو فرض أنه أعلي منه مرتبة أو جاهًا، وقد جاء في الحديث: «ولا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يكن سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل»، فإذا كان أهلًا لذلك وليس هناك محذور، فلا بأس به، وأما إن خشي المحذور أو كان غير أهل، فلا يجوز. والمحذور: هو الخشية من الغلو فيه. [35]

***

٥٥/ الجمع بين أدلة القائلين بتحريم زيارة النساء للقبور كحديث ابن عباس ، قال : (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : زائرات القبور .....) وبين أدلة القائلين بالكراهة كحديث أم عطية: (نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا). وبين أدلة القائلين بالجواز كحديث المرأة: التي مر النبي بها وهي تبكي عند قبر، فقال لها:«اتقي الله واصبري». فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمثل

انظر القول المفيد ٥١٧/٢ .

مصيبتي. فانصرف الرسول عنها، فقيل لها: هذا رسول الله. فجاءت إليه تعتذر، فيم يقبل عذرها، وقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»، فالنبي شاهدها عند القبر ولم ينهها عن الزيارة، وإنما أمرها أن تتقي الله وتصبر. ولما ثبت في (صحيح مسلم) من حديث عائشة الطويل، وفيه: أن النبي خرج إلى أهل البقيع في الليل، واستغفر لها ودعا لهم، وأن جبريل أتاه في الليل وأمره، فخرج مختفيًا عن عائشة، وزار ودعا ورجع، ثم أخبرها الخبر، فقالت: ما أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين...» إلخ. قالوا: فعلمها النبي دعاء زيارة القبور، وتعليمه هذا دليل على الجواز. وبين أدلة القائلين بالمشروعية كقوله : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة»، وهذا عام للرجال والنساء. ولأن عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة، أليس النبي قد نهى عن زيارة القبور؟ قالت: إنه أمر بها بعد ذلك. وهذا دليل على أنه منسوخ.

الصحيح : تحريم زيارة النساء للقبور ، بل إنها من كبائر الذنوب لحديث ابن عباس رضي الله عنهما . ويجاب عن أدلة الأقوال الأخرى: بأن الصريح منها غير صحيح، والصحيح غير صريح، فمن ذلك: أولًا: دعوى النسخ غير صحيحة، لأنها لا تقبل إلا بشرطين: ١- تعذر الجمع بين النصين، والجمع هنا سهل وليس بمتعذر، لأنه يمكن أن يقال: إن الخطاب في قوله:« كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها» للرجال، والعلماء اختلفوا فيما إذا خوطب الرجال بحكم: هل يدخل النساء أو لا؟ وإذا قلنا بالدخول- وهو الصحيح-، فإن دخولهن في هذا الخطاب من باب دخول أفراد العام في العموم، وعلى هذا يجوز أن يخصص بعض أفراد العام بحكم يخالف العام، وهنا نقول قد خص النبي النساء من هذا الحكم، فأمره بالزيارة للرجال فقط، لأن النساء أخرجن بالتخصيص من هذا العموم بلعن الزائرات، وأيضًا مما يبطل النسخ قوله: «لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد

والسرج»، ومن المعلوم أن قوله: «والمتخذين عليها المساجد والسرج»، لا أحد يدعي أنه منسوخ، والحديث واحد، فادعاء النسخ في جانب منه دون آخر غير مستقيم، وعلى هذا يكون الحديث محكمًا غير منسوخ. ٢- العلم بالتأريخ، وهنا لم نعلم التأريخ، لأن النبي لم يقل: كنت لعنت من زار القبور: بل قال: (كنت نهيتكم)، والنهي دون اللعن. وأيضًا قوله: (كنت نهيتكم) خطاب للرجال، ولعن زائرات القبور خطاب للنساء، فلا يمكن حمل خطاب الرجال على خطاب النساء، إذًا، فالحديث لا يصح فيه دعوى النسخ. وثانيًا: وأما الجواب عن حديث المرأة وحديث عائشة، أن المرأة لم تخرج للزيارة قطعًا، لكنها أصيبت، ومن عظم المصيبة عليها لم تتمالك نفسها لتبقى في بيتها، ولذلك خرجت وجعلت تبكي عند القبر مما يدل على أن في قلبها شيئًا عظيمًا لم تتحمله حتى ذهبت إلى ابنها وجعلت تبكي عند قبره، ولهذا أمرها أن تصبر، لأنه علم أنها لم تخرج للزيارة، بل خرجت لما في قلبها من عدم تحمل هذه الصدمة الكبيرة، فالحديث ليس صريحًا بأنها خرجت للزيارة، وإذا لم يكن صريحًا، فلا يمكن أن يعارض الشيء الصريح بشيء غير صريح. وأما حديث عائشة، فإنها قالت للرسول: ماذا أقول؟ فقال: «قولي: السلام عليكم»، فهل المراد أنها تقول ذلك إذا مرت، أو إذا خرجت زائرة؟ فهو محتمل، فليس فيه تصريح بأنها إذا خرجت زائرة، إذا من الممكن أن يراد به إذا مرت بها من غير خروج للزيارة، وإذا كان ليس صريحًا، فلا يعارض الصريح. وأما فعلها مع أخيها رضي الله عنهما، فإن فعلها مع أخيها لم يستدل عليها عبد الله بن أبي مليكة بلعن زائرات القبور، وإنما استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور مطلقًا، لأنه لو استدل عليها بالنهي عن زيارة النساء للقبور أو بلعن زائرات القبور، لكنا ننظر بماذا ستجيبه. فهو استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور، ومعلوم أن النهي عن زيارة القبور كان عامًا، ولهذا أجابته بالنسخ العام، وقالت: إنه قد أمر بذلك، ونحن وإن كنا نقول: إن عائشة رضي الله عنها استدلت بلفظ العموم، فهي كغيرها من العلماء لا يعارض بقولها قول الرسول، على أنه روي عنها، أنها قالت: «لو شهدتك ما زرتك»، وهذا دليل على أنها رضي الله عنها خرجت لتدعو له، لأنها لم

تشهد جنازته، لكن هذه الرواية طعن فيها بعض العلماء، وقال: إنها لا تصح عن عائشة رضي الله عنها، لكننا نبقى على الرواية الأولى الصحيحة، إذا ليس فيها دليل على أن الرسول نسخه، وإذا فهمت هي، فلا يعارض بقولها قول الرسول. * إشكال وجوابه: في قوله: (زوارات القبور) ألا يمكن أن يحمل النهي عن تكرار الزيارة لأن (زوارات) صيغة مبالغة. الجواب: هذا ممكن، لكننا إذا حملناه على ذلك، فإننا أضعنا دلالة المطلق (زائرات). والتضعيف قد يحمل على كثرة الفاعلين لأن على كثرة الفعل، فـ: (زوارات) يعني: النساء إذا كن مئة كان فعلهن كثيرًا، والتضعيف باعتبار الفاعل موجود في اللغة العربية، قال تعالى: {جنات عدن مفتحة لهم الأبواب}، فلما كانت الأبواب كثيرة كان فيها التضعيف، إذا الباب لا يفتح إلا مرة واحدة، وأيضًا قراءة: {حتى إذا جاؤوها وفتحت} فهي مثلها. فالراجح تحريم زيارة النساء للمقابر، وأنها من كبائر الذنوب. [45]

---

[45] انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) (٢٤/٣٤٣) وانظر القول المفيد ١/ ٤٣٠ .